

على الحافة آداب التدخين

حبيب معلوف

من الآداب التي تعلمناها مع تطور حياتنا الاجتماعية، التنبيه لعدم «التطبيس» أثناء تناول الطعام، ومحاولة ابقاء فمنا مغلقا لعدم صدور أصوات تتسبب بالإزعاج لمن يأكل معنا .

فإذا كنا نلتزم بهذه الآداب لعدم «ازعاج» الآخرين، فلماذا لا نلتزم بآداب عدم تلوين جو الآخرين أيضا الذي يتسبب بأكثر من الأزعاج، كالمرض والموت؟! مع العلم ان «الضحج المدني» يتسبب بمشاكل صحية ونفسية أكبر بكثير من ازعاج «التطبيس» .
لعل هذا ما بات ينطبق على عادات التدخين في الأماكن المغلقة، حيث يبعث المدخن بدخانه الى كل من حوله، ويلزم من لا يدخن بالتدخين معه، حسب ما يعرف بـ«التدخين السلبي». وإذا بات مسلما به أن مزار التدخين السلبي على غير المدخنين هي نفسها تقريبا كما عند المدخنين، فكيف يقبل المدخن بالتسبب بالضرر للغير، دون استئذان؟ هل هو مجرد جهل بالفعل والعواقب؟ أم عادة؟ أم مجرد استسلام لمنطق اننا نعيش في زمن محاط بمصادر تلوث كثيرة، قد يكون دخان التبغ اقلها تأثيرا وخطرا؟

يعتبر البعض أيضا، ان تنفيخ الدخان يساهم في التخفيف من الهموم. ويقال «نفخ عليها تنجلي»، للتدليل ان تنفيخ الدخان والتدخين، يساهم في التخفيف من الهموم. الا اننا بتنا نعرف اليوم اننا عندما ننفيخ الدخان، انما ننفيخه في وجه اناس آخرين، تماما كما نرمي بوجه آخرين مشاكلنا عندما نطبق نصيحة «كب وراك وامشي». وقد اكتشفنا اليوم ان ما رماه من سبقنا خلفه، انما رماه في وجهنا وأورثنا مشاكل متراكمة ومكلفة... وقد تكون مستعصية على الحل، تماما كما نفعل نحن مع من يأتي بعدنا .
مناسبة هذا الكلام اليوم عودة الاهتمام بمناقشة وقرار قانون منع التدخين في الاماكن العامة في الفترة الأخيرة، والذي عاد واصطدم، كما في السابق) عامي 2003 و2004) بنفس العوائق والمصالح لتجار التبغ ... وكون الموضوع، لا يزال يطرح، كما في المرات السابقة، بجزئته، من دون المساس بأبعاده الشمولية، الفكرية والاخلاقية والعلمية والعملية .

فكل انسان هو مدخن. كل انسان ملوث. ونحن بحاجة الى آداب جديدة، اكثر شمولا .
كل إنسان يصدر انبعاثات ما، بطريقة مباشرة او غير مباشرة. فنحن لا نتمتع بالطاقة الا اذا احترق شيء من الوقود في محطات انتاج الطاقة او في المولدات الخاصة التي نشترك معها. ونحن لا يمكننا ان نتقل من مكان الى آخر، الا اذا حرقنا وتسببنا بانبعاثات ما بطريقة مباشرة او غير مباشرة. ونحن لا نستطيع ان نلبس ثيابنا الا اذا أنتجها معمل ما استهلك الكثير من الطاقة لصناعته. ولا نستطيع ان نكيف منزلنا إذا لم نستخدم طاقة ما ونتسبب بانبعاثات ما... الخ

بهذا المعنى ليس هناك من بريء وكل فرد يتسبب بانبعاثات ما، وإن بنسب مختلفة. من سائق السيارة الى المزارع الذي يقشش الحقل ويحرقه، ويتسبب احيانا بحرق الاحراج المجاورة، الى الفحام وصانع الدبس والطباخ... ولهذا كان من المفترض ايجاد قانون شامل لضبط تلوث الهواء من جميع مصادره، يضع القواعد ويحدد المعايير والمواصفات، بالاضافة الى العقوبات... من اجل ان لا يتجاوز حجم الانبعاثات قدرة الارض على إعادة امتصاصها .
كان مجلس النواب قد اقر قانونا العام 2001 للتخفيف من تلوث الهواء الناجم عن قطاع النقل، الا اننا كنا بحاجة الى قانون اشمل للحد من تلوث الهواء بشكل عام .
بالاضافة الى ذلك، ومع تزايد المشاكل التي تتسبب فيها الانظمة الحديثة التي يفترض

اعادة النظر بها، لا بد من اعادة النظر بالفكر الليبرالي نفسه، وبمفهوم الحرية وحدودها، وكذلك بمفاهيم مثل الحق والعدالة...نحو اخلاقيات جديدة، تأخذ بالاعتبار ان الآخر هو بيئتنا كما نحن جزء من بيئته...وعلى الجميع ان يتحمل مسؤولية عدم تلويث هواء الآخر.